اللغة والعلم وتدوير العلم
في ضوء القرآن الكريم

د. مفرح السيد سعفان

كلية الآداب، جامعة المنوفية

جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني: mofrehsaafan@gmail.com

الاستلام	٢٠١٩/٢/٥	المراجعة	٢٠١٩/٣/٧	النشر	٢٠١٩/٤/٣٠

الملخص:

يحاول هذا البحث دراسة العلاقة بين اللغة والعلم، للوقوف على مدى تأثير اللغة في تحقيق التقدم في مسيرة العلم الإنساني، وذلك في ضوء القرآن الكريم. وهو يتألف من مبحثين اثنين. يتناول الأول اللغة والعلم والغاية منهما في ضوء القرآن الكريم، ويتناول الثاني أثر اللغة في تدوير العلم الإنساني.

فاللغة في القرآن ليست مجرد ظاهرة إنسانية، بل هي منظومة كونية عظمى تسعى إلى تحقيق الانسجام والتواصل بين الكون المخلوق بجميع كائناته وخالقه سبحانه، ولذلك فهي سر حياة الكون كما أن الروح هي سر حياة الجسد. وللعلم في القرآن نظرية كبرى تبين حقيقته وأهميته والغاية منه.

وللغة الإنسانية - بعناصرها الثلاثة المنطوق والمكتوب والمقروء – دور عظيم في تقدم مسيرة العلم الإنساني، فلولا التدوير اللغوي للعلم بين المكتوب والمقروء على مر الزمان لما تقدمت مسيرة العلم الإنساني خطوة واحدة.

فبالمنطوق يعبّر الإنسان عن علمه وفكره وآرائه التي يفرزها العقل الإنساني، ولكن هذا العلم المنطوق يموت بموت صاحبه، إلا إذا تم تدوينه في العنصر المكتوب، فإنه بذلك يُحفظ من الضياع، ويبقى على مر الزمان، لتقرأه الأجيال التالية، وليُعملوا فيه فكرهم، ثم يضيف الأبناء والأحفاد إلى ما سطره الآباء والأجداد في العنصر المكتوب، ليتراكم في هذا العنصر المكتوب جميع الموروث العلمي والفكري والثقافي للإنسان على مر الزمان، وبذلك يتم التدوير اللغوي للعلم بين الأجيال، من المنطوق إلى المكتوب إلى المقروء، ثم إلى المكتوب تارة أخرى، ومن ثم فالمكتوب والمقروء يمثلان قطبي الدائرة اللانهائية للعلم عبر الأجيال، والمكتوب بمثابة القطب الموجب، والمقروء بمثابة القطب السالب، وبينهما يدور العلم دورته اللانهائية والتي لا تتوقف على مر الزمان.

ويتسم هذا التدوير اللغوي للعلم بأنه أبدي يتخطى حاجز المكان والزمان عن طريق الترجمة، كما يتسم بكونه لانهائيا في كل اتجاه، فيتجه اتجاها رأسيا فيتوغل ويتعمق في العلم من التخصص العام إلى التخصص الدقيق إلى الأدق، ويتجه أفقيا فيُنتج ما لا حصر له من العلوم البينية التي تربط بين فروع العلم المختلفة. وهكذا تسهم اللغة الإنسانية إسهاما عظيما في تقدم مسيرة العلم الإنساني، فلولا هذه اللغة لما كان للإنسان علم ولا تاريخ ولا حضارة. وعليه فإنه إذا كان هناك من فضل لأحد في تحقيق هذه الثورة المعلوماتية التي يشهدها الإنسان في زمنه هذا فليس إلا لهذه اللغة الإنسانية العظيمة بعناصرها الثلاثة: المنطوق والمكتوب والمقروء. وهذا كله يمكن أن نفهمه من أول آيات نزلت من القرآن الكريم، وهي قول الحق سبحانه: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ *عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق:٩٦/١-٥).

الكلمات المفتاحية:

اللغة، العلم، تدوير العلم، القرآن الكريم.

The Language, Science and Science circling
In the light of the Holy Quran

Dr. Mofreh Al-Sayed Safan

Faculty of Arts, Menufia University

Egypt

Email: mofrehsaafan@gmail.com

Received	5/2/2019	Revised	7/3/2019	Published	30/4/2019

Abstract:

This research consists of two sections. the First is talking about the language and science in the Holy Quran, and the second details the relation between language and science and the importance of language in circling human Science.

The science in Quran has an important theory illustrate its value. the language has an important role in circling human science, writing and reading represent the two sides of unlimited circle of science across generations. Over time, scientists are writing down their ideas and theories for the next generations to read, to add to the written element of the language, to accumulate all scientific, cultural and civilizational heritage of human, so that science will get unlimited circling across successive generations. With this linguistic circling of science between written element and the read element there will be ability for science cycling by turning it from just idea or theory to tangible means and possibilities that benefit humanity. So, the language has an important role in human science development.

Keywords:

Language, Science, Science Circling, Holy Quran.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، والصلاة والسلام على خير خلقه، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإن الإنسان في عصرنا هذا يشهد مرحلة من التقدم العلمي والازدهار الحضاري الذي لم يسبق له مثيل في حياته على ظهر الأرض، حتى صار كوكب الأرض كأنه قرية صغيرة، بسبب هذا التقدم الهائل الذي حقَّقه العلم الإنساني في جميع وسائل الاتصال والتواصل بين بني البشر، بل صار عصرنا يُسمَّى عصر الثورة المعلوماتية أو الانفجار المعلوماتي.

فهل كان للغة الإنسانية أي دور أو إسهام أو تأثير في تحقيق هذه الثورة المعلوماتية التي ارتقى إليها العلم الإنساني في عصرنا هذا؟ وهل كان من الممكن أن تتحقق هذه الثورة المعلوماتية بدون وجود اللغة الإنسانية؟

وإذا كان للغة دور في ذلك، فما طبيعة هذا الدور الذي تسهم به اللغة الإنسانية في تقدم مسيرة العلم الإنساني وما حقيقته؟

ولذلك فإن هذا البحث مجرد محاولة للبحث في علاقة اللغة بالعلم، للوقوف على مدى تأثير اللغة . بعناصرها الثلاثة: المنطوق والمكتوب والمقروء . في تقدم مسيرة العلم الإنساني على مر الزمان، حتى وصل الإنسان إلى ما وصل إليه اليوم من تقدم علمي وازدهار حضاري، وذلك في ضوء القرآن الكريم.

ولذلك فقد تألف هذا البحث من مبحثين اثنين:

المبحث الأول عن اللغة والعلم والغاية منهما في ضوء القرآن الكريم.

والمبحث الثاني عن اللغة وتدوير العلم الإنساني في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الأول: اللغة والعلم والغاية منهما في ضوء القرآن الكريم:

أولا: اللغة والغاية منها في ضوء القرآن الكريم:

بداية تجدر الإشارة إلى أن القرآن الكريم لم يستعمل كلمة اللغة، ولكنه استعمل الكلمة الدالة على آلتها ووسيلتها وهي كلمة اللسان، مثلما في قوله سبحانه: ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ (النحل ١٠٣/١٦)، ولا عجب في ذلك فاللسان يعد أهم عضو في جهاز النطق الإنساني، "فهو يحتوي على عدد كبير من العضلات، التي تمكنه من التحرك، والامتداد والانكماش، والتلوي إلى الأعلى أو إلى الخلف. وهذه السهولة في التحرك مكنت اللسان من الاتصال بأية نقطة من الفم، فنتج عن تحركاته المختلفة عدد كبير من الإمكانات الصوتية في الجهاز النطقي، ولا غرابة بعد هذا إذا كان اسمه يرادف كلمة اللغة عند كثير من الشعوب. [١]

وقد درج العلماء والفلاسفة على اعتبار اللغة ظاهرة إنسانية، يختص بها الإنسان، ولكن اللغة في القرآن منظومة كونية عظمى تسعى إلى تحقيق الانسجام والتواصل بين الكون بجميع كائناته ومخلوقاته وخالقه سبحانه وتعالى، أي تسعى إلى انسجام الخلق مع الخالق، لتحقيق غاية العبادة والخضوع له سبحانه، وبعبارة موجزة يمكن القول بأن اللغة في القرآن هي سر حياة الكون، كما أن الروح هي سر حياة الجسد.

فالله تعالى قد خلق الخلق، وألهم كل مخلوق دوره في هذا الكون، وألهمه كيف يتواصل معه، وكيف يعبده ويسبح بحمده، فقال تعالى: ﴿وَإِن من شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء ٤٤/١٧).

وقد أشار القرآن إلى أنه سبحانه قد يصطفي بعض البشر. من الأنبياء. فيعلمه لغة بعض الكائنات من خلقه، مثلما حدث مع سليمان عليه السلام فقد كلم الجن، وكلم الهدهد، وسمع قول النملة، فتبسم ضاحكا من قولها.

ومما يؤكد كونية الظاهرة اللغوية في القرآن الكريم قوله سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ (الروم ٣٠ / ٢٢) حيث قرنت الآية الكريمة بين قضية خلق الكون وقضية اللغة وتعددها، باعتبارهما من آيات الله العظمى في هذا الكون، فالله قد خلق الكون، وخلق الوسيلة التي تعين على فهم هذا الكون والانسجام أو التواصل معه، والتي تتمثل في اللغة.

واللغة الإنسانية في القرآن الكريم ليست مجرد حلقة وصل أو وسيلة تواصل بين الأفراد أو بين جماعات البشر، بل هي كذلك حلقة وصل بين السماء والأرض، إذ بها يتم تبليغ رسالات السماء لأهل الأرض، حيث قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (إبراهيم ١٤/٤) ومن ثم فاللغة الإنسانية ليست إلا جزءا من منظومة اللغة الكونية التي بها يتحقق انسجام الكون المخلوق مع خالقه.

هذا والمتأمل في آيات القرآن يجد أن للغة الإنسانية فيه غايات ووظائف متعددة، يمكننا إجمالها فيما يأتي:

أولا: الوظيفة الدينية:

وهي وظيفة ذات شقين اثنين :

الأول: يتمثل في كون اللغة الإنسانية وسيلة للتبليغ.

فهي الوسيلة التي يتم بها تبليغ رسالات السماء لأهل الأرض، وما تشتمل عليه هذه الرسالات من شرائع وأحكام، وعبادات ومعاملات، وأخلاق وآداب، فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (إبراهيم ١٤/٤)، والغرض من هذا التبليغ أن يتحقق انسجام الإنسان مع سائر مخلوقات الكون في الخضوع للخالق، لتتحقق الغاية العظمى من خلق الإنسان في هذا الكون، والتي تتمثل في عبادة الله والتسبيح بحمده، كما يُفهم من قوله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات ٥١/٥٦).

والثاني: يتمثل في كونها وسيلة للعبادة.

فاللغة هي وسيلة التواصل بين العبد وربه، فقد أمر الله عباده فيما لا يُحصى من آيات القرآن الكريم بإقامة الصلاة، ودعائه وذكره واستغفاره، والدعوة إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة، وتلاوة القرآن الكريم، وهذه كلها أعمال تعتمد أساسا على اللسان مع إخلاص القلب له سبحانه .

ومن ثم يمكن القول بأن هذه الوظيفة الدينية تعد . في نظر القرآن . هي الغاية الأساسية العظمى من اللغة الإنسانية؛ لأنها هي التي تتحقق بها الغاية من خلق الإنسان في هذا الكون في نظر القرآن.

ثانيا: الوظيفة التعبيرية:

وقد كان القرآن يطلق على هذه الوظيفة مصطلح البيان أو التبيين.

مثلما نلاحظ في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (الرحمن ٥٥/١-٤)، أي: علمه كيف يعبر وكيف يوضح.

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه الوظيفة التعبيرية يراها كثير من اللغويين أهم وظيفة تسعى اللغة الإنسانية إلى تحقيقها، حتى قال ابن جني في تعريفها: "اللغة أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم" [٢]

ونحن نجد في القرآن كثيرا من الآيات الدالة على أن اللغة هي وسيلة للتعبير عن الفكر، كما أنها وسيلة للتعبير عن النفس وما يختلج بداخلها من مشاعر وأحاسيس.

. فهي وسيلة للتعبير عن حالة التأمل ، وكيفية حركة الفكر داخل العقل الإنساني في لحظة التأمل ، كما نلاحظ في قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (الأنعام ٦/٧٦-٧٩) . فالحوار هنا ليس بين شخصين، ولكنه يعبر عن حالة التأمل وحركة الفكر داخل العقل الإنساني لحظة التأمل.

والكلام الإنساني مرتبط بالفكر، فاللسان لا ينطق إلا بعد إعمال الفكر، فبعده يصدر العقل أوامره لجميع الجوارح . ومنها اللسان . بالتصرف، مثلما نفهم من قوله تعالى . عن الوليد بن المغيرة . : ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ *ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ *ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ *فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ *إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ (المدثر ٧٤/١٨.٢٥)

. واللغة وسيلة للتعبير عن الفرح والسعادة، كما نشعر من قوله سبحانه: ﴿قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ﴾ (يوسف ١٢/ ١٩).

. وهي وسيلة للتعبير عن الرضا النفسي بقضاء الله وقدره، كما في قوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف١٢/١٨).

. وهي وسيلة للتعبير عن الاقتناع، كما في قوله سبحانه عن الذي مر على قرية وهي خاوية: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة٢/٢٥٩) .

. وهي وسيلة للتعبير عن الندم، كما نشعر في قوله تعالى على لسان ابن آدم (قابيل) بعد أن قتل أخاه (هابيل): ﴿قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ (المائدة ٥/٣١) .

. بل هي وسيلة للتعبير عن وسوسة النفس، التي أشار إليها القرآن في قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ (ق ٥٠/١٦).

فوسوسة النفس هذه ليست إلا حوارا داخليا بين الإنسان ونفسه.

ثالثا: الوظيفة التواصلية

فمن يتأمل آيات القرآن الكريم يجدها تزخر بالمعاني الدالة على الوظيفة التواصلية والاجتماعية للغة.

. فاللغة وسيلة للتعارف والتفاهم بين الأفراد أوبين الجماعات البشرية أو بين الدول، مثلما نفهم من قوله سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات ٤٩/١٣).

. وهي وسيلة للحوار أو التحاور مع الآخر، فقد استعمل القرآن هذا المصطلح في كثير من آياته، مثلما نلاحظ في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ (الكهف ١٨/٣٤) وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ (المجادلة ٥٨/١).

. وهي وسيلة للجدال مع الآخر، فقال سبحانه: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل ١٦/١٢٥).

. وهي وسيلة للإقناع والتأثير في الآخر، كما نفهم من قوله سبحانه: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ (طه ٢٠/٤٤) .

وهنا تجدر الإشارة إلى أن القرآن قد أشار. قبل علماء البلاغة والبيان . إلى أهمية فصاحة اللسان وبلاغة القول في التأثير وإقناع الآخر، مثلما نلاحظ في قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا

فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ (القصص٢٨/٣٤)، وقوله: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يفقهوا قولي﴾ (طه ٢٠/٢٧)، وقوله سبحانه: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ (النساء٤/ ٦٣).

. وهي كذلك تساعد على فهم الآخَر، وقراءة ما بداخله من حب أو بغضاء، كما تساعد على كشف الكذب والنفاق لدى بعض الناس، مثلما نفهم من قوله تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ (آل عمران ٣/١١٨) وقوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ (الفتح ٤٨/١١) وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (البقرة ٢/ ٢٠٤) .

. بل يتجلى جمال القرآن في حث المتكلم في أثناء تواصله أو حواره مع الآخر على الالتزام بما يسمى آداب الحوار. وذلك مثل غض الصوت، كما في قوله تعالى: ﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (لقمان ٣١/١٩)، والتحلي بحسن القول كما في قوله سبحانه: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة٢/٨٣)، وغير ذلك.

الرابعة: الوظيفة العلمية والتعليمية

وذلك بتحصيل العلم ومدارسته عن طريق القراءة والكتابة، فبالقراءة يتم تحصيل العلم، وبه تتحقق عملية التعلم، وبالكتابة يتم تدوين العلم لحفظه من الضياع، ولتعليم الأجيال التالية، ونفهم هذا كله من قوله سبحانه: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ* خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق ٩٦/٤.١) .

وهكذا يتبين لنا أن اللغة بصفة عامة في القرآن هي منظومة كونية عظمى تسعى إلى انسجام الكون المخلوق مع خالقه سبحانه، لتحقيق الخضوع له. واللغة الإنسانية ماهي إلا جزء من هذه المنظومة الكونية العظمى، ولذلك كانت الوظيفة الدينية . بشقيها التبليغي والتعبدي . هي الغاية الأساسية العظمى لها، ثم كانت لها غايات ووظائف فرعية أخرى، كالوظيفة التعبيرية والوظيفة التواصلية والوظيفة العلمية والتعليمية لتحقيق العمران، ولتحقيق خلافة الإنسان في هذه الأرض، وعليه فبدون اللغة ما كان للمخلوقات في هذا الكون أدنى فائدة، ولكان خلق الكون ضربا من العبث، وهذا محال، ومن ثم فاللغة في القرآن هي سر حياة الكون كما أن الروح هي سر حياة الجسد .

ثانيا: العلم والغاية منه في ضوء القرآن الكريم

العلم في الأصل مصدر للفعل (علم)، وهو مصدر غلبت عليه الاسمية، فصار يُستعمل اسما بمعنى الشيء المعلوم، ومن ثم فهو مصدر بمعنى اسم المفعول[٣] ، فهو مثل كلمة (الصيد) الواردة في قوله تعالى: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ (المائدة ٥/٩٦)، إذ هي مصدر بمعنى اسم المفعول، فهي بمعنى الشيء المصيد.

والعلم هو أعظم ثمرة يجنيها الإنسان من بستان العقل، فلولاه لما وصل الإنسان إلى ما وصل إليه اليوم من راحة ورخاء، وغزو الفضاء، وبناء ناطحات السحاب، وغير ذلك من مظاهر الازدهار العمراني والتقدم الحضاري. وليس هذا فحسب بل إنه بالعلم يستكشف الإنسان المجهول، ويصل إلى الحقائق العلمية اليقينية التي تقوم عليها كل ظاهرة في كل مجال من مجالات هذا الكون، حتى يصل إلى الحقيقة الأزلية العظمى التي تتمثل في معرفة الخالق العظيم سبحانه وتعالى، فلأن هذا الكون عظيم فلا بد أن يكون له خالق عظيم يستحق العبادة والتعظيم.

ومن هنا نفهم السر في اهتمام القرآن الكريم بذكر العلم وأهميته، وعلو شأنه وعظم منزلته ومنزلة العلماء، لأن العلماء هم الذين يستطيعون التوصل إلى هذه الحقيقة الأزلية، وذلك مثلما يظهر لنا في الآيات الكريمة الآتية :

. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر ٣٩/٩).

- ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ (آل عمران ٣/٧).

- ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة ١١/٥٨).

وليس المقصود بالعلماء في القرآن الكريم علماء الدين أو الشريعة أو التفسير فقط بل العلماء في أي مجال من مجالات العلم النافع، بدليل مثل قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (فاطر٣٥/ ٢٧-٢٨) فلا شك أن المقصود بالعلماء هنا . في هذا السياق . هم علماء الفيزياء والكيمياء والجيولوجيا (علم طبقات الأرض).

والعلم الإنساني في حقيقته . في نظر القرآن الكريم . هو إيتاء من الله، فهو عطاء رباني يهبه الله لمن يشاء من عباده ممن يمتلك عدته ووسائله، فقال سبحانه: ﴿وَما أوتيتُم مِنَ العِلمِ إِلّا قَليلًا﴾ (الإسراء ٨٥/١٧). وهذا أمر منطقي؛ لأن الكون صنعة الخالق، وكل معلومة علمية أو قانون علمي يكتشفه الإنسان عن أي ظاهرة من ظواهر الكون، مثل قوانين الجاذبية الأرضية، وعجلة الجاذبية الأرضية، وقوانين سرعة الصوت والضوء، وقوانين الطاقة الحرارية والكهربائية والمغناطيسية، وغيرها . مما فتح الله به على الإنسان . هي في الحقيقة اكتشاف لسر من أسرار صنعة الخالق في صنعته، والإنسان نفسه جزء من صنعته، ولا يعقل أبدا أن تنافس الصنعة الصانعَ، بل إنها لا تتحرك إلا بإذنه وعلمه سبحانه، ولذلك قال سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ (البقرة ٢/ ٢٥٥)، ولذلك فإن علم الإنسان لا يقارن أبدا بعلم الله سبحانه، فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة ٢١٦/٢).

وأظهر دليل يؤكد لنا محدودية علم الإنسان وضآلته بالنسبة إلى علم الله سبحانه أن ما يراه الإنسان أمرا لانهائيا يفوق طاقة عقله يراه الله سبحانه أمرا محدودا ضئيلا، وأن كل ما لا يقبل الحصر والإحصاء عند الإنسان هو عند الله قد تم حصره وإحصاؤه في الزمن الماضي منذ الأزل، فقال جل شأنه: ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ (الجن ٢٨/٧٢)، وقال: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ (يس ١٢/٣٦) وقال: ﴿لَقَد أَحصاهُم وَعَدَّهُم عَدًّا﴾ (مريم ٩٤/١٩). ولذلك كان الله سبحانه وتعالى هو وحده عالم الغيب والشهادة، وهو علام الغيوب، وهو العليم بذات الصدور، وهو الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويعلم السر وأخفي، ويعلم ما في الأرحام، وصدق الحق إذ يقول واصفا علمه سبحانه: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (الأنعام ٦/ ٥٩).

وقد أشار القرآن إلى وسائل اكتساب العلم لدى الإنسان، فأشار إلى أهمية العامل اللغوي . من قراءة وكتابة . في تحصيل العلم ومدارسته كما سبق أن عرفنا عند حديثنا عن الوظيفة التعليمية للغة، فلولا القلم ما كان العلم.

كما أشار إلى دور الحواس في إدراك كثير من الحقائق العلمية واكتساب المعرفة، وذلك في قوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل ٧٨/١٦)

ولكن العلم كله لا يدرك بالحواس، بل إن كثيرا منه لا يدرك إلا بإعمال الفكر والاستنباط العقلي، واتباع المنهج العلمي في التفكير لتقرير الحقائق، ولذلك فقد أشار القرآن الكريم فيما لا يُحصى من آياته إلى اتباع هذا المنهج العلمي، وذلك على النحو الآتي :

أولا: دعا القرآن الإنسان إلى النظر والتأمل والتفكر والتدبر في نفسه وفي آيات الله من حوله في هذا الكون، وهذا النظر و التأمل يؤدي إلى إعمال العقل الذي يعد الخطوة الأولى في المنهج العلمي لاستكشاف القوانين العلمية المؤثرة في الظواهر الكونية المختلفة، مثلما نلاحظ في هذه الآيات الكريمة:

. ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ (عبس ٢٤/٨٠).

. ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ (الطارق ٥/٨٦).

. ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ (العنكبوت ٢٠/٢٩).

. ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (يونس ١٠١/١٠)

. ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ (الغاشية ١٧/٨٨-٢٠).

. ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات ٢٠/٥١-٢١).

ويربط القرآن بأسلوب بديع بين هذا النظر والتأمل من جهة وتأكيد صدق العقيدة الإسلامية من جهة أخرى مثلما يتضح في قوله سبحانه: ﴿فانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ (الروم ٥٠/٣٠).

ثانيا: أشار القرآن إلى ما يعرف في المنهج العلمي بالاستنباط العقلي، فدعا إلى إعمال العقل لاستنباط الحقيقة العلمية، مثلما نفهم من عموم قوله تعالى: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (النساء ٨٣/٤) فالعلم وليد الاستنباط العقلي.

وبهذا الاستنباط العقلي أكد القرآن الكريم صدق كثير من القضايا التي دعا إليها مثل قضية وحدانية الخالق سبحانه وتعالى، كما نلاحظ في قوله سبحانه: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (الأنبياء ٢١ / ٢٢) وقوله: ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ (المؤمنون ٢٣ / ٩١) وأكد صدق قضية البعث في قوله سبحانه ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ * أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ (القيامة ٧٥/ ٣٦. ٤٠).

ثالثا: دعا القرآن إلى أهمية إعادة النظر في الموروث الثقافي من عادات وتقاليد وطقوس وشعائر، إذا ما تعارضت مع منطق العقل، إذ كان يعيب على الكفار اتباع نهج الآباء دون تفكر أو تأمل في حقيقته، وكان يعيب عليهم قولهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ (الزخرف ٢٢/٤٣).

رابعا: ربط القرآن بين العلم واليقين، فالمقولة لا تعد حقيقة علمية إلا إذا اعتمدت على يقين لا يعتريه أدنى شك، وقد فرق القرآن بين مراتب اليقين ودرجاته، ففيه اليقين، وعلم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين.

مثلما نلاحظ في الآيات الكريمة الآتية:

. قوله تعالى ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (الحجر ٩٩/١٥) أي حتى يأتيك الأمر اليقين، وهو الموت [٤]؛ لأنه لا عبادة بعد الموت.

. وقوله سبحانه: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ* لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ (التكاثر ٥/١٠٢-٧).

. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (الواقعة ٩٥/٥٦-٩٦).

خامسا: رفض القرآن الكريم الاعتماد على مبدأ الظن وما تهوى الأنفس في تقرير الحقائق، فقال سبحانه: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (النجم ٢٨/٥٣)، كما قال سبحانه: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ﴾ (النجم ٢٣/٥٣).

سادسا: دعا القرآن الكريم إلى ما يُعرف في المنهج العلمي بالاستدلال، أي طلب الدليل على صدق المقولة، وهذا الدليل يجب أن يكون قطعيا يقينيا، لا شبهة فيه؛ لأن الدليل إذا دخله الاحتمال سقط به الاستدلال، كما يقرر علماء الأصول. فدعا إلى عدم إطلاق القول على عواهنه دون أي دليل يؤكده ويثبت صحته، بل لا بد من الإتيان بالدليل أو

البرهان الذي يؤكد صدقها، فقال جل شأنه: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة ١١١/٢). وقال: ﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (يونس ١٠/ ٦٨).

سابعا: دعا القرآن الكريم إلى التأكد والتثبت من صدق المقولة، وعدم الجري وراء أي ناعق أو الانصياع له، أو التصديق بمقولته دون التأكد من صحتها، فيما يعرف في المنهج العلمي بتوثيق الخبر أو توثيق المعلومة، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات ٦/٤٩). وينطبق هذا على الإيمان بأي نظرية فلسفية تتعلق بأي شأن من شئون الحياة الإنسانية، أو بأي ظاهرة من الظواهر الكونية دون أن يؤكدها دليل صادق أو برهان ساطع؛ فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، كما يقرر علماء التفسير.

أما عن الغاية من العلم في القرآن الكريم فيمكننا . على وجه العموم . حصرها في أربع غايات أساسية:

الأولى: تتمثل في تكريم الإنسان وتفضيله على سائر المخلوقات، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء ٧٠/١٧). فهذا التقدم العلمي الذي يشهده الإنسان في وسائل انتقالاته برا وبحرا وجوا، وفي وسائل اتصالاته وغير ذلك يعد شكلا من أشكال تكريم الله له، لأنه هو المخلوق الوحيد الذي حمل الأمانة التي أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها، وهو المخلوق الوحيد الذي منحه الله العقل .

والغاية الثانية: تتمثل في تمكين الإنسان من استكشاف آيات الله العظيمة في هذا الكون، للاستدلال على وجوده ووحدانيته وقدرته سبحانه، والاستدلال على أنه هو وحده الإله الحق، وأنه هو وحده الجدير بالعبادة، مثلما نفهم من قوله سبحانه: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصلت٥٣/٤١).

والغاية الثالثة: تتمثل في تسخير الكون لخدمة الإنسان لتحقيق العمران في الأرض. فقد سبق أن أشرنا إلى أن الله قد خلق الإنسان لكي يكون خليفة له في الأرض، ولكي يحقق العمران فيها، وهذا العمران ما كان له أن يتحقق إلا بالعلم. فبالعلم استطاع الإنسان أن يستعمر الأرض، بل استطاع أن يحقق المعجزات، بتحويل ما كان خيالا في الماضي إلى واقع حقيقي. أي أنه بالعلم تمكن من تسخير الكون له برا وبحرا وجوا، كما تمكن من تسخير جميع ما في الكون من جماد ونبات وحيوان. وهذا كله ليتحقق صدق قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ (الجاثية ١٣/٤٥).

وقد أشار القرآن إلى أنه بالعلم يتمكن الإنسان من تحقيق المعجزات، واختراق الآفاق وتسخير الكون لخدمته، بل يتمكن من تحويل الخيال . الذي لم يتصور العقل الإنساني تحقيقه في الماضي . إلى حقيقة واقعة. ويمكننا أن نفهم ذلك من هذا الحوار الذي أورده القرآن بين سليمان عليه السلام وأعوانه من الجن والإنس، بشأن من يأتيه بعرش بلقيس ملكة سبأ، وذلك في قوله سبحانه: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ* قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ* قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ (النمل٢٧/ ٣٩-٤٠) . وهكذا كانت قوة العلم . لدى الذي عنده علم من الكتاب . أقوى وأعظم من قوة الجن.

والغاية الرابعة والأخيرة: تتمثل في أن يصل الإنسان بهذا التقدم العلمي إلى آخر المطاف، وهي الحالة التي يظن فيها أهل الأرض أنهم قد صاروا قادرين على التحكم في كل شيء في هذه الأرض، لتأتي لحظة النهاية، ويتحقق وعد الله،

الذي وعد به في قوله جل شأنه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾ (يونس ١٠/٢٤).

وبناء على ما سبق يمكن القول بأن كل العلوم التي عرفها الإنسان أو ابتكرها تصب في النهاية لخدمة الإنسان في جانب محدد من جوانب حياته في هذا العالم، حتى يتحقق له تسخير الكون.

فلقد درج العلماء والفلاسفة على تقسيم العلوم إلى ثلاثة أقسام رئيسة:

١. علوم أساسية: وهي الفيزياء، والكيمياء، والرياضيات، وعلم الحيوان.

٢. علوم تطبيقية: وهي كل العلوم المعتمدة على العلوم الأساسية السابقة.

وذلك مثل هذه العلوم التي تدرس في كليات الهندسة بأقسامها المختلفة فهي تعتمد أساسا على الفيزياء والرياضيات، ولذلك تسمى كليات الهندسة والتكنولوجيا (التي تعني التطبيق العملي للعلم). وكذلك علوم الحاسبات ونظم المعلومات تعتمد أساسا على الفيزياء والرياضيات.

والعلوم التي تدرس في كليات الطب المختلفة. البشري والأسنان والبيطري والعلاج الطبيعي. تعتمد كلها أساسا على علم الحيوان أو البيولوجي (علم وظائف الأعضاء) وعلم الكيمياء. والعلوم التي تدرس في كلية الصيدلة تعتمد أساسا على علم الكيمياء وعلم الحيوان.

٣. علوم إنسانية: وهي العلوم التي تتناول الإنسان بالبحث والدراسة، مثل: الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ والجغرافيا والقانون والسياسة والاقتصاد والإدارة.

ويمكن القول بأن جميع العلوم السابقة بأقسامها الثلاثة تصب في النهاية لخدمة الإنسان، فالإنسان هو محور العلم الإنساني، وذلك لكي يتمكن من تحقيق هدف الخلافة عن طريق تسخير الكون لخدمته.

فالإنسان جسد وروح وعقل، وله زمان وله مكان، وهو فرد، وهو جزء من جماعة. ولا يخلو أي علم من خدمة جانب من هذه الجوانب السبعة.

فهناك علوم تخدم جانب الجسد، وهي معظم العلوم الأساسية والتطبيقية.

فحاجات الجسد الأساسية تنحصر في أربع حاجات: الغذاء والكساء والبناء والدواء. ويمكن القول بأن جميع العلوم التي تدرَّس في كليات الزراعة والطب البيطري تهدف في النهاية إلى توفير الغذاء والكساء.

وجميع العلوم التي تدرس في كليات الطب البشري والأسنان والعلاج الطبيعي والتمريض تسعى في النهاية لتحقيق غاية واحدة تتمثل في توفير الدواء اللازم لشفاء الجسد.

وجمع العلوم التي تدرس في قسمي المدني والعمارة في كليات الهندسة تهدف إلى تجهيز البناء.

أما العلوم التي تدرس في سائر أقسام كليات الهندسة وهي أقسام الكهرباء، والميكانيكا فهي تساعد في توفير الأجهزة الصناعية اللازمة لجميع حاجات الإنسان من غذاء وكساء ودواء وغيرها كوسائل الانتقال ووسائل الاتصالات.

هذا وعلوم الدين والفنون تخدم جانب الروح.

وعلوم الفلسفة تخدم جانب العقل.

والتاريخ يدرس علاقة الإنسان بالزمان.

والجغرافيا تدرس علاقة الإنسان بالمكان.

وعلم النفس يدرس الإنسان كفرد.

وعلم الاجتماع يدرس الإنسان باعتباره جزءا من جماعة بشرية.

ومع اتساع دائرة الجماعة البشرية من فرد إلى أسرة إلى جماعة إلى عائلة، إلى قبيلة إلى عشيرة إلى أمة، ومن قرية إلى مدينة إلى إقليم أو ولاية أو محافظة إلى دولة .... تتسع دائرة العلوم الاجتماعية والسياسية التي تتناولها بالدراسة لتنظيم أحوالها، فتأتي علوم القانون والإدارة والاقتصاد والسياسة والإعلام، ثم السياسة الدولية والقانون الدولي الذي يجعل من سكان الأرض كأنهم قرية واحدة.

وهكذا نجد أن الإنسان هو محور العلم الإنساني، فمن عقله ينطلق، ليعود عليه بالنفع في جانب من جوانب حياته أو في مجال من مجالاتها في هذا الكون وهي: الجسد والروح والعقل، والزمان والمكان، وباعتباره فردا، وباعتباره جزءا من جماعة.

فالإنسان هو الغاية من كل علم، ومن هذا المنطلق فإنني أرى أن كل العلوم التي عرفها الإنسان . بأقسامها الثلاثة السابقة . هي علوم إنسانية بالمعنى العام لها، لأنها من العقل الإنساني تصدر وتنطلق، لتعود إلى الإنسان مرة أخرى بالنفع والفائدة، والإنسان هو وحده الكائن المستفيد من هذا العلم وتطبيقاته، لكي يتم تسخير الكون لخدمته، ليتحقق قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ (الجاثية ١٣/٤٥).

وهذه . فيما أرى . هي دورة العلم، فالمقصود بتدوير العلم إذن أن يدور العلم الإنساني دورته عبر أجيال البشر، جيلا بعد جيل، متجاوزا حاجز المكان وحاجز الزمان، ليتحول العلم على مر الزمان من مجرد أفكار نظرية إلى إمكانات مادية ووسائل عملية تفيد الإنسان في مجالات حياته المختلفة، لتتواصل مسيرة العلم الإنساني، ويتحقق التقدم الحضاري للإنسانية.

المبحث الثاني: اللغة وتدوير العلم الإنساني

يشهد الإنسان في هذا الزمان ثورة معلوماتية هائلة لا نظير لها من قبل في تاريخ حياته على ظهر الأرض، حتى صارت الأرض كلها كأنها قرية صغيرة، يمكن أن يتحدث فيها الإنسان . في أي مكان . فيسمعه كل سكان الأرض ويرون صورته، عن طريق ما يسمى وسائل التواصل الاجتماعي.

وهذه الطفرة العلمية الهائلة التي يشهدها الإنسان في هذا العصر. بسبب التقدم العلمي العظيم الذي ارتقى إليه . ما كان له أن يتحقق وتظهر آثاره، وتعظم ثماره إلا عن طريق اللغة الإنسانية، فلولا اللغة ما كان للإنسان علم ولا تاريخ ولا حضارة.

فقد علمنا من قبل أن كل العلوم التي ابتكرها الإنسان . سواء أكانت علوما أساسية أو تطبيقية أو إنسانية . هي في الواقع علوم إنسانية، لأنها تنبع من عقل الإنسان وفكره، لتعود إليه مرة أخرى بالنفع في مجال من مجالات حياته، ومن ثم فالعلم الإنساني أيا كان نوعه هو ثمرة إبداع العقل الإنساني وثمرة فكره.

وإذا علمنا أن اللغة هي وعاء الفكر[٥] ، وأنهما وجهان لعملة واحدة، وأن العقل الإنساني لا يفكر إلا باستعمال اللغة علمنا أنه لولا هذه اللغة الإنسانية ما عرف الإنسان علما واحدا من العلوم السابقة، بل ما عرف شيئا اسمه العلم .

ذلك أن عناصر اللغة الإنسانية ثلاثة: منطوق، مكتوب، ومقروء.

أما المنطوق: فهو بمثابة عملية ترجمة فورية للفكر الإنساني، إذ لا يمكن الفصل بينهما، فهما وجهان لعملة واحدة. فالمنطوق يعبر عن كل ما يجيش في صدر الإنسان من عواطف ومشاعر وأحاسيس، وكل ما يدور بعقله من أفكار ونظريات في شتى مجالات الحياة، ومن ثم فإن المنطوق هو وسيلة الإنسان للتعبير عن العلم والفكر والإبداع.

ولكن هذا المنطوق يُعد عنصرا محدودا؛ لأنه مقيَّدٌ مكانا وزمانا بنطاق الشخص الناطق ومن يسمعه، ولذلك فإن المنطوق . مع عظم أهميته . يبقى عنصرا محدود الأثر والتأثير في تاريخ العلم.

وأما المكتوب: فهو ترجمة للمنطوق الذي هو ترجمة للفكر الإنساني، وبه يتم تدوين العلم لحفظه من الضياع، وبه تتحقق عملية تعليم العلم .

ولكنه يختلف عن المنطوق اختلافا كبيرا، يتمثل في أن المكتوب يقوم بتحويل مسار مجال المنطوق من المحدود مكانا وزمانا إلى غير المحدود واللانهائي مكانا وزمانا، ومن المقيد بشخص الناطق ومن يسمعه إلى المطلق الذي يشمل كل إنسان في كل مكان وفي كل زمان.

وذلك لأن المكتوب عنصر ثابت وباق على مر الزمان، بعد وفاة الكاتب، ويمكن أن يقرأه أي إنسان في كل مكان وفي كل زمان، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة عن طريق الترجمة.

وأما المقروء: فهو ترجمة للمكتوب، ولكنه يعيده تارة أخرى إلى عنصر محدود بشخص القارئ، والنص الذي يقرؤه مكانا وزمانا، ومن ثم فالمقروء كذلك محدود الأثر مثل المنطوق، ينتهي أثره بانتهاء عملية القراءة.

والقراءة يتم بها اكتساب العلم وتحصيله، فهي بمثابة عملية تغذية أوشحن للعقل الإنساني، أو هي عملية إدخال بيانات ومعطيات للعقل الإنسان لكي يُعمل فيها فكره، ثم يضيف إليها إضافة جديدة، ومن المعلوم أن هذه الإضافة الجديدة إذا مات صاحبها قبل أن يقوم بتدوينها وإضافتها إلى العنصر المكتوب فإنها تموت معه، ولكن إذا تم تدوينها وتسجيلها كتابة فإنها بذلك تضيف لبنة جديدة إلى بناء العنصر المكتوب لتكتمل بذلك الدائرة اللانهائية الأبدية للعلم بين المكتوب والمقروء، فيتراكم في العنصر المكتوب جميع الموروث العلمي والفكري والثقافي.

وبعبارة موجزة يمكن القول بأن لكل عنصر من عناصر اللغة الثلاثة دوره العظيم في إنتاج العلم الإنساني، وتقدم مسيرته على مر الزمان. فبالمنطوق يتم التعبير عن العلم والفكر والإبداع، وبالمكتوب يتم تدوين هذا العلم، ليُحفظ من الضياع، وبالمقروء يتم تدوير العلم بين الأجيال على مر الزمان .

ولكن العنصر المكتوب يُعد هو العنصر اللغوي الوحيد – من بين عناصر اللغة الثلاثة: المنطوق والمكتوب والمقروء – الذي يتسم بكونه لا نهائيا وغير مقيد، وغير محدود بحدود الزمان والمكان، ذلك أنه يعد الوعاء اللغوي المرئي الوحيد الذي يتراكم فيه على مر الزمان جميع الموروث العلمي والفكري للإنسانية، وعن طريقه تحقق التواصل للعطاء الإنساني، واستمر التقدم للحضارة الإنسانية، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه اليوم.

فعلى مر الزمان يفكر العلماء وينظِّرون ويبدعون ثم يقومون بتدوين ما توصلوا إليه من أفكار ونظريات وإبداعات لتقرأها الأجيال التالية، وليضيف الأبناء والأحفاد إلى ما سطره الآباء والأجداد، وبين الكتابة والقراءة ثم الإضافة إلى الكتابة على يد الأجيال التالية يتراكم الموروث العلمي والفكري والثقافي في كل علم من العلوم على مر الزمان، ليتم بذلك تدوير العلم بين الأجيال المتعاقبة جيلا بعد جيل تدويرا لا نهائيا لا يحده مكان ولا زمان، ليدور العلم دورته، ويتحول من مجرد أفكار نظرية إلى وسائل عملية، ينتفع بها الإنسان في شتى مجالات حياته العملية .

وعليه فإن المكتوب والمقروء يمثلان قطبي الدائرة اللغوية اللانهائية للعلم، فالمكتوب هو بمثابة القطب الموجب الذي يعطي، والمقروء بمثابة القطب السالب الذي يستمد العلم من المكتوب، ثم يضيف إليه . بعد إعمال الفكر في هذا المكتوب على مر الزمان . لتكتمل الدائرة، في تواصل أبدي لا يتوقف على مر الزمان. وعليه يمكن القول بأنه لولا هذا التدوير اللغوي الأبدي للعلم بين المكتوب والمقروء لما أمكن تدوير العلم وتحويله من مجرد أفكار نظرية إلى وسائل وإمكانات عملية تفيد الإنسان في مجالات حياته.

ومن العجيب في شأن هذا التدوير اللغوي للعلم أنه يتخطى حاجز المكان وحاجز الزمان. فبوسع أي إنسان في عصرنا هذا أن يقرأ كتابا مكتوبا منذ آلاف السنين إذا كان يفهم هذه اللغة التي أُلِّفَ بها هذا الكتاب، أو عن طريق الترجمة، فتكسر اللغة بذلك حاجز الزمان.

كما أنه بوسع الإنسان في بلد ما أن يقرأ كتابًا مكتوبًا في أي بلد آخر في هذا العالم عن طريق الترجمة، فتكسر اللغة بذلك حاجز المكان.

وهكذا يسهم العامل اللغوي، المتمثل في قطبي العلم: الكتابة والقراءة، في إزالة حاجز الزمان وإزالة حاجز المكان، مما يزيد من التوسع اللانهائي لدائرة العلم بين المكتوب والمقروء، فيجمعه كله في بوتقة واحدة، يتراكم فيها تراث الإنسانية جمعاء.

ومما يؤكد لنا عمق الصلة بين اللغة والتقدم العلمي الإنساني أننا إذا ما تأملنا الأسباب التي أدت إلى إحداث هذا التقدم العلمي العظيم وهذه الثورة العلمية الهائلة على مر تاريخ البشرية، نجدها كلها تعتمد أساسا على العامل اللغوي بصفة عامة، وعلى العنصر المكتوب بصفة خاصة، وهي . فيما أرى . تنحصر في ثلاثة اختراعات هي:

١. اختراع القلم.

٢. اختراع المطبعة.

٣. اختراع شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت).

فلولا القلم (أو الكتابة) لما أمكن تدوين العلم، ولماتت كل فكرة وكل نظرية بموت صاحبها، ليعود الإنسان مرة أخرى إلى مربع الصفر، في حلقة مفرغة لا قيمة لها، ولا تأثير لها في تاريخ العلم. ولذلك فالقلم هو أعظم اختراع في تاريخ الإنسان، فبه ظل الفكر الإنساني باقيا وراسخا على مر الزمان، ولولاه ما كان للإنسان علم ولا تاريخ ولا حضارة.

ثم باختراع المطبعة أمكن للإنسان أن يزيد من سرعة انتشار العلم بين البشر، ويزيد من عدد المستفيدين من هذا العلم، مما كان له الفضل الكبير في التقدم العلمي الإنساني، ودخول الإنسان إلى ما سمي بعصر النهضة العلمية، وعصر الثورة الصناعية في أوربا .

ثم باختراع الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت) دخل الإنسان عصرا جديدا يتسم بالثورة المعلوماتية الهائلة، والسرعة الفائقة في انتشار العلم، إذ صارت المعلومة عن طريق هذه الشبكة تصل إلى جميع سكان الأرض في نفس اللحظة .

فإذا كان قانون مقياس السرعة . في الطبيعة . عبارة عن حاصل قسمة المسافة على الزمن.

وكانت المسافة التي تقطعها المعلومة الآن عبر هذه الشبكة = ما لانهاية.

وكان الزمن الذي تقطعه المعلومة الآن عبر هذه الشبكة = صفرا.

فإن سرعة وتيرة العلم الآن = ما لانهاية .

وإذا ما تأملنا هذه الاختراعات الثلاثة التي أسهمت في ارتقاء مسيرة العلم الإنساني على مر الزمان، حتى وصل إلى ما صل إليه الآن من ثورة علمية هائلة، نجد الثلاثة تشترك في الاعتماد على العامل اللغوي بصفة عامة وعلى العنصر المكتوب بصفة خاصة، والذي كان أصله القلم، وهكذا يتبين لنا عظمة هذا الاختراع في تاريخ العلم الإنساني، وفي تقدم مسيرة الحضارة الإنسانية.

وهنا تتجلى لنا عظمة القرآن الكريم في الربط بين قضية اللغة . بعنصريها المكتوب والمقروء . وقضية العلم، وبيان قيمة القلم والعنصر المكتوب في تاريخ العلم الإنساني، وفي تواصل مسيرة العطاء الحضاري للإنسانية، وذلك في

أول سورة نزلت من القرآن الكريم، حيث قال سبحانه: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ *خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * علم الإنسان ما لم يعلم﴾ (العلق ٩٦/١-٥) .

فبالقراءة يتم تحصيل العلم، وبالقلم يتم تدوينه وحفظه من الضياع، ولولا هذا التدوير اللغوي للعلم بين المكتوب والمقروء عبر الأجيال على مر الزمان لما تحقق التدوير العملي للعلم، بتحويله من مجرد أفكار نظرية إلى وسائل وإمكانات عملية، حتى تمكن الإنسان من تسخير الكون لخدمته. فلولا القلم ما كان العلم، ولولا العلم ما كانت الحضارة الإنسانية.

هذا كما يمكن القول بأن هذا التدوير أو التوسيع اللانهائي لدائرة العلم يتخذ على مر الزمان اتجاهين: رأسيا وأفقيا.

أما التوسع الرأسي في العلم فينتج عنه التوغل والتعمق في اتجاه واحد ينتقل من المجال العام إلى المجال الخاص إلى المجال الأخص وهكذا.

ويترتب على ذلك إنشاء التخصص العام لعلم من العلوم، ثم التخصص الدقيق، ثم التخصص الأدق، وهكذا في سلسلة لا نهائية من التعمق الرأسي من العام إلى الخاص إلى الأخص.

وأما التوسع الأفقي في العلم فينتج عن التشعب الأفقي بالتعاون مع مجالات العلوم الأخرى، فينشأ عنها ما يمكن أن نسميه ظاهرة التزاوج العلمي التي تنتج لنا عالما لا نهائيا من العلوم والدراسات البينية التي ترتبط بين فرعين أو أكثر من فروع العلم.

وعلى سبيل المثال فعلم اللغة عندما يتوسع رأسيا فإنه ينتج لنا علم الأصوات، ثم علم الصرف أو البنية، ثم علم النحو، ثم علم الدلالة، وكل علم من هذه العلوم اللغوية يتفرع إلى أفرع رأسية داخلية أخرى. ولكن علم اللغة عندما يتوسع أفقيا فإنه يتفاعل مع العلوم الأخرى منتجا عدداً من العلوم البينية التي تربط بين اللغة وغيرها من العلوم :

فعلم اللغة مع الفلسفة ينتج فلسفة اللغة.

وعلم اللغة مع علم النفس ينتج علم النفس اللغوي.

وعلم اللغة مع علم الاجتماع ينتج علم اللغة الاجتماعي.

وعلم اللغة مع التاريخ ينتج علم اللغة التاريخي.

وعلم اللغة مع الحاسوب ينتج علم اللغة الحاسوبي.

وعلم الأصوات مع الفيزياء ينتج علم الأصوات الفيزيائي وهكذا.

وغير ذلك من العلوم البينية، وهكذا سائر العلوم التي عرفها الإنسان .

ومن العجيب في شأن هذا التدوير العلمي وهذا التوسيع . سواء أكان توسيعا رأسيا أو كان توسيعا أفقيا . أنه يتسم بكونه لا نهائيا وغير محدود، ولا يقف عند حد. والأعجب أن اللغة – لأنها الوسيلة المعبرة عن هذا العلم – لا تعجز أبدا عن مواكبة هذه اللانهائية؛ فاللغة والعلم خطان متوازيان لا نهائيان على مر الزمان.

وهنا تتجلى عظمة القرآن الكريم في التعبير بأدق ما يكون التعبير عن وصف هذه اللانهائية الأبدية الخالدة على مر الزمان التي تجمع بين اللغة والعلم، اللذين هما من آيات الله وكلماته، وذلك في قوله سبحانه: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (الكهف ١٨/ ١٠٩) وقوله جل شأنه: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ (لقمان ٣١/٢٧).

وهكذا يتبين لنا أن اللغة الإنسانية لها قيمتها العظمى وأهميتها الكبرى في حياة الإنسان. ولا تنحصر هذه الأهمية فقط في كونها وسيلته للتعبير، أو في كونها وسيلته للتواصل، بل تكمن في كونها وسيلته لتحصيل العلم، عن طريق القراءة، ووسيلته لتدوين العلم وحفظه، عن طريق الكتابة، وأنها وسيلة تدوير العلم بين المكتوب والمقروء بين الأجيال المتعاقبة على مر الزمان، ليتراكم جميع الموروث العلمي للإنسان في هذا العنصر المكتوب، وبهذا التدوير اللغوي للعلم على مر الزمان يتحقق التدوير العملي للعلم بتحويله من مجرد أفكار نظرية إلى وسائل عملية وإمكانات مادية، تفيد الإنسان في شتى مجالات الحياة، فتتقدم مسيرة العلم وترتقي الحضارة الإنسانية على مر الزمان، ليصل الإنسان إلى ما وصل إليه الآن، ويتحقق تسخير الكون لخدمته، وليتبين صدق قوله سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ (الجاثية ١٣/٤٥) وقوله عز شأنه: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصلت ٤١ / ٥٣).

والله ولي التوفيق .

الخاتمة وأهم النتائج:

- للغة في القرآن الكريم رؤية متكاملة تبين حقيقتها وأهميتها والغاية منها، فهي ليست مجرد ظاهرة إنسانية يختص بها الإنسان، أو ظاهرة بشرية تسعى إلى تحقيق التواصل بين البشر، بل هي منظومة كونية عظمى تسعى إلى تحقيق الانسجام والتواصل بين الكون وخالقه، لكي يخضع الخلق لسلطان الخالق سبحانه وتعالى. فاللغة هي سر حياة الكون كما أن الروح هي سر حياة الجسد. واللغة الإنسانية هي جزء من هذه المنظومة الكونية العظمى، ولذلك فإن لها وظيفتها الدينية أو التعبدية، فضلا عن وظيفتها التعبيرية عن النفس الإنسانية، ووظيفتها التواصلية الاجتماعية، ووظيفتها العلمية والتعليمية .
- كذلك للعلم في القرآن الكريم نظرية عظمى تبين حقيقته وأهميته وفضله ومنزلته كما تبين خصائصه وكيفية اكتسابه والغاية منه .
- أشار القرآن الكريم إلى المنهج العلمي في التوصل إلى الحقيقة العلمية، فأشار إلى الاستدلال بطلب الدليل والبرهان، والاستنباط العقلي، والتوثيق العلمي الدقيق للخبر أو المقولة، والاعتماد على اليقين ورفض الظن، لأن الظن لا يغني من الحق شيئا.
- للعلم الإنساني في القرآن الكريم غاياته ومن أهمها ما يأتي:

الأول: أنه بمثابة تكريم من الله للإنسان وتفضيل له، مصداقا لقوله عز شأنه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾(الإسراء ٧٠/١٧).

والثاني: أنه لاستكشاف آيات الله في الكون، للاستدلال على وجوده، وأنه هو وحده الإله الحق الجدير بالعبادة، مصداقا لقوله سبحانه: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (فصلت ٥٣/٤١).

والثالث: أنه لتسخير الكون لخدمته، لتحقيق العمران والخلافة في الأرض، مصداقا لقوله سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ (الجاثية ١٣/٤٥) وقوله: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود ٧١/١١).

- إن كل العلوم التي عرفها الإنسان، سواء أكانت علوما أساسية أو تطبيقية أو إنسانية يمكن أن تعد علوما إنسانية، لأنها تنبع من عقل الإنسان وفكره ثم تعود إليه مرة أخرى بالنفع والفائدة في مجال من مجالات حياته وهي: الجسد والروح والعقل والزمان والمكان وباعتباره فردا وباعتباره جزءا من جماعة، فتحول العلم على مر

الزمان من النظرية إلى التطبيق هو المقصود بتدوير العلم. والغاية من هذا التدوير تتمثل في تسخير الكون لخدمة الإنسان.

- عناصر اللغة ثلاثة: منطوق ومكتوب ومقروء. ويمثل المكتوب والمقروء قطبي الدائرة اللانهائية للعلم عبر الأجيال، فعلى مر الزمان يقوم العلماء بتدوين أفكارهم ونظرياتهم لتقرأها الأجيال التالية ليضيف الأبناء والأحفاد إلى ما سطره الآباء والأجداد في العنصر المكتوب، فيتراكم فيه جميع الموروث العلمي والثقافي والحضاري للإنسان، ليتم بذلك تدوير العلم تدويرا لا نهائيا بين الأجيال المتعاقبة، ولولا هذا التدوير اللغوي للعلم بين المكتوب والمقروء لما حدث تدوير العلم بتحويله من مجرد أفكار نظرية إلى وسائل وإمكانات عملية تفيد الإنسان في مجالات حياته.
- مما يؤكد عمق الصلة بين اللغة وتقدم العلم الإنساني أن كل الاختراعات التي اخترعها الإنسان على مر الزمان، والتي أدت إلى إحداث ثورة العلم الإنساني في هذا العصر وهي: القلم ثم المطبعة ثم شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) تشترك جميعها في الاعتماد أساسا على العنصر المكتوب، وعليه كان القلم أعظم اختراع في تاريخ البشرية، ولهذا السبب ربط القرآن الكريم بين قضية اللغة وقضية العلم ربطا وثيقا، وأشار إلى دور القلم في تقدم مسيرة العلم الإنساني، وذلك في أول سورة نزلت من القرآن الكريم وهي سورة العلق.

الهوامش والمراجع:

١. انظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي للدكتور رمضان عبد التواب مكتبة الخانجي بالقاهرة، ٢٦.

٢. الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جنى، تحقيق محمد على النجار ٣٤/١.

٣. انظر: المعاجم اللغوية مادة (علم).

٤. تفسير الكشاف لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ٥٦٨/٢.

٥. انظر: في اللغة والفكر للدكتور عثمان أمين ٢٢- ٣٥ واللسان والإنسان للدكتور حسن ظاظا ٧٧.